"الطرائق التربوية في التعليم المحظري ما بين الأصالة والمعاصرة"

أ / أدو ولد الشيخ أعمر

- **مقدمة ولمحة تاريخية** :

تقع الجمهورية الإسلامية الموريتانية في شمال غرب إفريقيا الإسلامي بين خطي الطول ٥-١٥ شرقا وبين دائرتي العرض ١٢-٢١ شمالا، ويحدها المحيط الأطلسي من الغرب ومن الجنوب جمهورية السنغال ومن الجنوب الشرقي جمهورية مالي ومن الشمال الشرقي الجمهورية الجزائرية ومن الشمال الصحراء ، وتقدر مساحتها بأكثر من مليون كيلو متر مربع ، ويزيد عدد سكانها يزيد علي ثلاثة ملايين نسمة ، وكان أكثر السكان من البدو الرحل حتى عهد قريب بفعل عوامل جديدة فرضت تغيير الظروف فتحول أغلب السكان إلي التحضر أو التقري والاستقرار.أما التسمية فإن موريتانيا اليوم هي بلاد شنقيط وبلاد الملثمين أو المرابطين . كما عرفت بالبلاد السائبة حيث لا تعرف نظاما مركزيا يحكم البلاد أو بلاد التكرور[1].

والمجتمع الموريتاني اليوم لا يشكل نشازا عن غيره من المجتمعات الأخرى وإن تميزعنهم ببعض الخصائص ذلك أن سكان موريتانيا وإن تنوعت وتعددت أصولهم العرقية وفئاتهم الاجتماعية فإن ذلك لم يمنع من امتزاج الدماء فيما بينهم وقيام الروابط النسبية والسببية علي أساس من الإخوة الإيمانية والتآلف والتراحم تجسيدا لقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات، ١٠) وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات، ١٣).

ولموريتانيا ثروات متعددة وقد يرى البعض أنها هائلة ومتنوعة حيث تشمل المعادن الثمينة والثروة السمكية والحيوانية والزراعية.

وتشير أكثر المصادر إلى أن الإسلام دخل البلاد في القرن الأول الهجري علي أيدي الفاتحين الأوائل مثل: معاوية بن خديج وعقبة بن نافع وغيرهم.

والورقة الحالية تقدم لموضوع له تاريخ عريض في عمليات التعليم والتعلم،فهو يعد بحق أسلوب أو طريقة تدريسية أثبتت كفاءة كبيرة في وقتها ، وربما يكون إثارتها في العصر الحديث بهدف توثيقها أو استخدامها لحل بعض المشكلات التعليمية الحالية بصور مختلفة بناء على طبيعة العصر ومتطلباته.

وتتعرض الورقة الحالية إلى لمحة تاريخية لنشأة المحظرة ، ثم تنتقل إلى أهم العوامل التي ساعدت على انتشارها والأساليب والطرق التي تتبعها ودورها في إعداد الأفراد انسانيا ومعرفيا واجتماعيا ، وكيفية استغلال امكانات البيئة عبر اتباعها معايير ما يسمى بـ "مدرسة المجتمع"

---

[1] الخليل النحوي / بلاد شنقيط المنارة والرباط. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس ١٩٨٧
- الشيخ الطيب عمر بن الحسين / السلفية وأعلامها في موريتانيا . دار ابن حزم بيروت

- **المحظرة : النشأة والأهمية :**

خلق الله تعالى هذا الإنسان وكرمه وجعله خلفيته في الأرض وسخر له الكون كله ودعاه إلى استغلاله وحسن استثماره لما يصلح به آخرته ودنياه وفي سبيل تحقيق ذلك كله أمره ودعاه إلى التفكر والتدبر والنظر ليعلم ويتعلم فكانت أولى آيات القرآن الكريم نزولا آيات تتحدث عن أساسيات التعليم أي القراءة والكتابة والقلم يقول تعالي "اقرأ باسم ربك الذي خلق" (العلق،١).مخاطبا رسوله لله صلي الله عليه وسلم و هو النبي الأمي في أمة أمية وترسيخا لهذا التوجه تواترت الأدلة من القرآن و السنة علي وجوب طلب العلم علي فضل العلماء وفضل المتعلمين والحث علي نشر العلم وتحريم كتمانه ولو انبعث قديما وحديثا واستفادت من أساليب ومناهج علمية واقعية وضعها الرسول صلي الله عليه وسلم لما انتشر الفساد في الأرض ولما انتشرت الأمية.

ومهما يكن من أمر فإن من أقدم المحتفظ به عند بعض المؤرخين أن أساليب التعليم دخلت البلاد مع الفتح الإسلامي حيث تذكر المراجع أن الفاتحين لما دخلوا مدينة أودغست وجدوا بها مساجد عديدة ومعلمون كان ذلك سنة ٤٤٦ هـ ولا تعارض بين هذا وما تذكره بعض الروايات من أن نشأة المحاظر كانت في رباط عبد الله ياسين ٤٨١ هـ حيث ظهرت المحظرة كمؤسسة تعليمية ثم أخذت تنتشر بعد ذلك في المدن والحواضر المعروفة في ذلك الوقت وظلت تتوسع وتنتشر حتى وضعت عصا الترحال بين أحياء البدو حيث طاب المقام حيث وجدت الإقبال والترحاب والإكرام ذلك أن المجتمع وجد في هذه المؤسسة التربوية خير معين له على تنشئة أبنائه ورعايتهم وإعدادهم للحياة تكييفهم مع ظروف مجتمعهم في نفس الوقت الذي تعمل فيه على تحديد معالم شخصيتهم من خلال عقيدتهم ولغتهم وأخلاق وعادات وقيم مجتمعهم وإذا ما حاولنا في إشارات قصيرة ذكر ما يبين أهمية المحظرة ودورها في المجتمع فإن ذلك يظهر في :

- نشر العلم بين أفراد المجتمع.
- المحافظة علي معالم الشخصية الموريتانية.
- مقاومة المستعمر وثقافته.
- توفير قوى عاملة جاهزة للإنتاج سنوات الاستقلال (قضاة. معلمين وكتاب).
- محاربة الأمية.
- التحضير لولوج التلاميذ إلي التعليم النظامي مما يقلل من التكلفة.

- **المحظرة: التعريف والأهداف والانتشار :**

دون الوقوف طويلا عند الأصل اللغوي فإن من المتداول بين أهل الفن إطلاق كلمتي محضرة جمع محاضر ومحظرة جمع محاظر وإن كان بعض الكتاب يفضل مفهوم المحضرة على غيره فإن الوزارة تطلق على هذه المؤسسة محظرة وهي المؤسسة التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية والثقافة العربية أكثر من تسعة قرون ومازالت تتابع رسالتها.

وأما من حيث الاصطلاح فالمحظرة هي جامعة شعبية بدوية متنقلة فردية التعليم طوعية الممارسة، فالمحظرة بهذا المعني هي المؤسسة التي احتضنها المجتمع وأنشأها وحافظ عليها لأنها تعبر بحق عن وجدانه وضميره وحياته وحاضره ومستقبله فهي بحق تجسد وتحقق ما نجده من أوصاف عن مدرسة

النظام الرسمي التي زرعها المستعمر وسط المجتمع ذلك أن مما نجده من أوصاف هذه المدرسة في ثنايا المراجع التي تتحدث عنها سواء كان ذلك واقعا مزعوما أو أملا يرتجى تحقيقه، مثلا أن المدرسة ينبغي أن تكون مركز إشعاع يضئ وينشر الوعي في البيئة المحيطة وأن المدرسة ينبغي أن تتكيف مع بيئتها[٢] وينبغي أن تستغل وتوظف وسائل وإمكانات تلك البيئة وهذا في الحقيقة والواقع لا نجده إلا في المحظرة حيث تعمل علي تنشئة أفراد صالحين في أنفسهم ومتكيفين مع وسطهم. فطالب المحظرة يراجع درسه وهو يخدم نفسه ويخدم شيخه في العلم ويساعد غيره ويحلب بقرة جاره ويغسل ثوبه ويجلب الماء من البئر لشيخه ويطبخ طعامه ويجلب الحطب من الوادي لحاجته كل ذلك مع حزمة من الأدب والأخلاق فأين طالب المدرسة النظامية من هذا؟

فإذا كان من نتائج وأساليب تنشئة المحظرة محافظتها على الأدب والقيم والأخلاق الفاضلة واحترام كبار السن وأهل العلم و وبر الوالدين فإننا نعلم من خبرات الحياة المعيشية أنماطا من سلوكيات طلاب المدارس ما هو بعيد كل البعد عن ذلك سواء كان السلوك داخل المؤسسة أو خارجها، هذا ويشير الشيخ الطيب عمر في كتابه السلفية في موريتانيا إلى تاريخ نشأة المحظرة ويوضح الكاتب أن رباط عبد الله بن ياسين يعد المحظرة الأولى وكان ذلك سنة ٤٣١ هـ في تيدرة قرب نواكشوط ثم محظرة أبي بكر محمد ابن الحسن المرادي الحضرمي تأسست في أزوكي قرب أطار سنة ٤٨٩ هـ ثم محظرة الشريف عبد المؤمن بن صالح الأدريسي بتيشيت سنة ٥٣٦ هـ وفي نفس التاريخ تأسست محظرة وادان على أيدي الحاج عثمان الأنصاري. أما محظرة شنقيط فيؤرخ لها بسنة ٦٦٠ هـ كما تأسست محظرة ولاته بعد ذلك على يد يحي الكامل في بداية القرن الثامن الهجري ومن مشاهيرها محمد يحي الولاتي ومحمد يحي بن سليمة.

ولابد من الإشارة هنا إلي أن شهرة هذه المحاظر ودورها العلمي الذي نالته من ارتباطها بهذه المدن الحضارية التاريخية العتيقة والتي فرضت وجودها والاعتراف بها على منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو).

وينبغي التنبيه على أننا لا نهدف من وراء التنويه بشهرة هذه المدن ومحاظرها نفي أو تجاهل غيرها من المحاظر بل أننا نعلم علم اليقين أن المحاظر قد انتشرت وعمت الكثير من مناطق البلاد في وقت لا يزال الوعي بالتوثيق والتدوين محدودا كما أن الوسائل لا تساعد على ذلك.

قد لا يعني بالضرورة ذكر أهداف المحظرة[٣] أنها تحققت أو أهداف نسعى إلى تحقيقها بقدر ما نسعى إلي التذكير وإظهار الحاجة إلى ذكر وتحديد الهدف من نشاط ذي بال يزيد ذلك من وضوح الرؤية وإظهار النتائج فنحن نتلمس

---

[٢] الشيخ الطيب عمر / السلفية وأعلامها، مرجع سابق ص٦٠. ص٩٢
- المعهد التربوي / مجلة التعليم العدد ٣٩ ، السنة ٢٠١٠
الخليل النحوي / المنارة والرباط، مرجع سابق ص١٨ . ص٢٥

[٣] الطيب عمر / السلفية وأعلامها، مرجع سابق. ص٨٤

ذلك في طريقنا عن البحث من طرق وأساليب ناجعة فاعلة من شأنها أن ترفع من كفاءة المحظرة وقد رتبها على مسايرة العصر والاستجابة لمتطلباته في الوقت الذي نحافظ فيه على خصوصياتها ومن بين الأهداف التي استنتجها بعض الباحثين:

- تعلم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وسلوكا ومنهجا.
- تكوين وإعداد كفاءات قادرة علي حمل رسالة نشر العلم.
- العمل على ترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة في المجتمع والأخوة والمحبة.
- جلب الاحترام والتقدير والمكانة الاجتماعية لدى المجتمع وصاحب السلطة .
- الرغبة في طلب العلم و الاستزادة منه وإشباع الحاجات النفسية.

غير أننا نلاحظ أن هذه الأهداف ليست وليدة تخطيط ولا سياسة منظمة لتحقيق أهداف محددة مرسومة من قبل سبقت المحظرة إلى تحقيقها بقدر ما هي مستوحاة من الواقع ومستنتجة من عطاء المحاظر.

لقد جاء الإسلام لهداية الناس جميعا وليخرجهم من الظلمات إلى النور الذي أنزله على رسوله صلى لله عليه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا في بيئة وثنية جاهلية أمية كما يصفها القرآن الكريم (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) (الجمعة، ٢) فكان ظهور الإسلام مصحوباً بالدعوة إلى العلم والحث عليه والرفع من شأن العلماء وطلبة العلم فكانت بدايات المعالم الأولى لتغيير العقليات وسلوك وعادات المجتمع الجاهلي الأمي الأول الذي ظهر فيه الإسلام، وما مجتمع شمال غرب إفريقيا عموما والصحراء خصوصا من ذلك ببعيد فقد كانت بداية دخول الإسلام إلى هذه الربوع خير عون لأهلها على الإقبال على العلم والتعليم إذ هو السبيل إلى معرفتهم لأحكام دينهم وحسن تدبير أمور دنياهم فجمعوا بين الجهاد وطلب العلم معززين بذلك انتشار الإسلام وقيام دولته حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله تحت راية الحق والعدل والمساواة.

ومن هنا يمكن الرجوع إلى بعض العوامل التي ذكرها بعض الباحثين على أنها أسهمت في انتشار المحظرة في جميع أطراف هذه البلاد المترامية الأطراف مع صعوبة المسالك وقلة الموارد والمياه والمراعي التي من عادة البدو التنقل طلبا لها غير أن ذلك كله لم يمنع ساكنوا هذه البلاد من السعي لطلب العلم وبذل كل غال ونفيس في سبيل تحصيله، إن هذه العوامل يمكن إجمال أهمها في:

- **الإسلام واهتمامه بالعلم** :

خلق الله تعالى هذا الإنسان علمه البيان نفخ فيه من روحه وجعله خليفة في الأرض وسخر له الكون وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين فهدى الله بهم من يشاء من الأولين كما هدى من يشاء من المتأخرين وفي هذا السياق يأتي الحديث عن الإسلام والعلم من هذه الربوع بلاد شنقيط موريتانيا حاليا

وللتأكيد على هذه العلاقة جاءت آيات بينات وأحاديث شريفة وآراء علمية ثقافية تؤكد هذه العلاقة ومن تلك الآيات : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (محمد ، ١٩) ، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) (العلق ، ١- ٥) ، (الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ.عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن ، ١- ٤) ، (وعلم آدم الأسماءَ كلها) (البقرة،٣١) ، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (المجادلة ، ١١) ، (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران ، ٧) ، (فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) (البقرة ، ٢٩٩) ، (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (العنكبوت ، ٤٣) ، (وقل ربي زدني علما) (طه ، ١١٤).

وفي فضل العلم وطالبه ورد في الحديث : إن الملائكة لتضع أجنحتها فرحا أو رضا بطالب العلم كما أن الملائكة تحف مجالس العلم تكريما لأهلها . كما دعا الإسلام إلى بذل العلم ونشره، وحرم كتمانه وتوعد كاتمه، كما عد الإسلام نشر العلم عملا ينتفع به الميت بعد موته وغير هذا كثير.

- **التقدير الاجتماعي للعلم والعلماء** :

لقد اهتم الشناقطة كثيرا بالعلم مستلهمين روح الإسلام في ذلك فكان إقبالهم عليه شديدا وصبرهم على طلبه وتحملهم للمشاق رغبتة في تحصيله يدفعهم إلى ذلك الرغبة في رضى الله تعالى ثم ما يتمتع به أهل العلم في وسطهم الاجتماعي من المكانة والجاه ، وقد تواترت آراء الباحثين في المجال حول التلازم بين (القوة أي السيف، والمعرفة أي القلم) مما يؤخذ منه الأهمية والمكانة التي يعطيها المجتمع لهاتين القوتين قوة السيف في زمنه والعلم ونحن من واقع التاريخ قديما وحديثا نتذكر مجتمعات قامت على أساس هذا التحالف بين القوتين. وفي هذا المعني كان للكثير من الشعراء الموريتانيين تأكيد وإشادة بطالب العلم وبالعلم والعلماء ومن أمثلة ذلك. ولقد قال أحدهم : (محمد فال ولد متال) .

عليك بالتعلم والتعلم	ذا رغبة في أجره المعظم
ولا يزعك عن حضور العلم	وأهله إن لم تكن ذا فهم

وتأكيدا لهذا المعني يروى أنه أفتي بتفضيل تعلم اللغة علي التفرغ للعبادة،فيقول:

تعلم اللغة شرعا فضل	علي التخلي لعبادة الجلي
يؤخذ ذا من قوله وعلما	آدم الأسماء ألزم التعلما

ومراده أن الملائكة ما أمروا بالسجود لآدم إلا لفضل له عليهم و ما كان هذا الفضل ليكون إلا بالعلم لا بالعبادة لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم يسبحون الله في الليل والنهار لا يفترون فما فضلهم آدم إلا بما علمه الله من أسماء الأشياء.

- **إشباع الحاجات النفسية و الشخصية** :

من المعروف أن لدي الإنسان حاجات أساسية وآخري ثانوية كما له غرائز فطرية وأخري مكتسبة ، وللمجتمع وثقافته دور كبير في تشكيل الدوافع المكتسبة ، من هنا فإن حاجة الفرد إلي المكانة وإلي الأمن والتقدير والمكانة في وسطه تدفعه إلي بذل الجهد من أجل تحقيق كل الرغبات التي يطمح الفرد في وسطه الاجتماعي إلي تحقيقها حتى لا يكون غريبا في وسطه ويكون جديرا بأن يستمع إليه إذا تكلم وأن يعطي إذا طلب وأن يجاب إذا دعا فهذه النظرة النفسية كانت لها أثرها في التنافس والتسابق في طلب العلم.

- **الهجرة والسعي في مناكب الأرض والرجوع إلى البلاد** :

كانت هذه البلاد أي شنقيط قد عرفت هجرات متعددة في أوقات ومن فئات متعددة ولعل أهم هذه الهجرات هجرة بني حسان في القرن الثامن الهجري،كما أن هذه الهجرة التي كتب عنها بعض المؤرخين مثل بن خلدون لم تكن الوحيدة بل كانت هناك هجرات آخرى من فئات أخرى من الزوايا سواء كانوا أفرادا أو جماعات ومن هؤلاء من تأسست على أيديهم بعض المحاظر في المدن القديمة والتي تفرعت منها وانتشرت محاظر عديدة في طول البلاد وعرضها مما سمح بالتأثير والتأثر وزيادة الخبرات وإمكانية نقلها و الاستفادة منها فهذا التبادل للزيارات والرحلات قد عزز حركة العلم والدين ونشرهما في البلاد وتلك رسالة علماء المسلمين قديما حيث ما كانوا و حيثما حلوا وقد تدعم هذا التوجه مع مرور الوقت حيث دخل البلاد العديد من العلماء وتنقلوا بين أرجائها كما أدخلوا نماذج من الكتب التي ساهمت في نشر العلم واعتمدت نماذج منها في مناهج المحظرة لا تزال حتى اليوم ويذكر محمد مختار ولد أباه مميزات الثقافة الموريتانية حين يقول "وقد امتازوا بثقافة عربية إسلامية أخذوا مصادرها من رحلات علمائهم المتعددة في المشرق والمغرب وطبعوها بذاتيتهم الخاصة " ويتابع قوله إن هذه الثقافة يتضح انتماؤها إلى المراجع المغربية والأندلسية ذلك إن الدعوة الإسلامية امتدت أولا في القيروان إلي سجل- ماسة ومنها إلي الصحراء ثم انتظمت حلقات الوصل بين قرطبة وفاس وبين الصحراء والسودان وتعززت في فترات معينة حتى أخذت شكلها النهائي المتمثل في مجموعة من المعارف تعتمد على٤ متون (كتب) كثيرة من المغرب والأندلس.

- **التجارة عبر الصحراء** :

لم تكن التجارة عبر الصحراء سهلة التداول ذلك أن وسائل النقل كانت شحيحة ولم يعرف منها في غابر الزمن إلا القليل المستخدم من الحيوانات كالبغال والحمير والثران أما الجمال والخيل فلم يظهر استخدامها إلا مع دخول القبائل العربية القادمة من الجزيرة في القرن الأول والثاني من الهجرة ويذكر الخليل النحوي أن دخول الجمل وسائل النقل عد ثورة في ذلك الوقت إذ حطم الحواجز وقرب المسافات فتحولت الصحراء إلى معبر للقوافل وقامت في مناطق متعددة مراكز تجارية كبري اشتهرت في وقتها منها

---

[٤] - الخليل النحوي : المنارة والرباط –مرجع سابق ص٩٧- ١٠٠

- الطيب عمر / السلفية وأعلامها . مرجع سابق ص٩٨- ٩٩

أوداغوست،وكومبي صالح وأزوكي وولاته وتيشيت ووادان وشنقيط. وإضافة إلى دور الجمل سفينة الصحراء فقد استفادت من الآبار التي حفرها الفاتحون المسلمون، وبقيت تلك الطرق والوسائل مستخدمة حتى تطورت الأساليب وبدأت الاستكشافات الأوروبية تظهر باستخدام سفن البحر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط، سواء كان ذلك من البرتغاليين أو الأسبان والهولنديين وكان الفرنسيون أيضا كل ذلك في مابين ١٥- ١٦ الميلادي.٥

- الرحلات العلمية والطريق إلى الحج
- الحروب والنزاعات والتنافس بين القبائل٦

لأن كانت الحرب أيام المرابطين من أجل الجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى غير أن ذلك لم يدم طويلا فقد انتهى بانتهاء دولة المرابطين واتخذت الحرب مسارا آخر بين القبائل بسبب بسط النفوذ وإخضاع الآخرين وحتى أن هذه الحروب قد تقوم دون سبب كاف بل لأبسط الأسباب وكان تعدد هذه الحروب واستمرارها وشراستها وما ترتب عليها من سفك للدماء وانتهاك لحرمة الأعراض والمال كان كل ذلك من أهم الأسباب التي جعلت بعض أهل الرأي يجدون في دخول المستعمر إلى البلاد مخرجا يضمن للبلاد الأمن والاستقرار رغم مساوئه الأخرى . ربما عذرهم في ذلك ((قاعدة ارتكاب أخف الضر)) وخلاصة القول إن الحروب مهما كانت والبداوة والترحال إن كانت كلها معوقات لطلب العلم ونشره فإن بلاد شنقيط موريتانيا كانت استثناء من ذلك حيث كانت المحاظر تتابع عطاءها عكس ما عرفت مراكز حضرية أخرى وتنشر العلم في كل حين على حد قول شاعرهم :

ونحن ركب من الأشراف منتظم	أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة	بها نبين دين الله تبيانا

فلم تكن الحروب والحل والترحال مانعا للشناقطة من طلب العلم كما كانت رحلات وقوافل التجارة من أهم مصادر التبادل الثقافي والتأثير والتأثر. وإذا كان التعليم أخذ ينتشر مع توسع الفتح الإسلامي فإن من أولى البعثات التعليمية كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانت الجيوش تخرج فاتحة معلمة٧ .

- **المحظرة** : **الأصول وطرائق التدريس** :

كان المجتمع العالمي بصفة عامة والمجتمع العربي بصفة خاصة في الجزيرة العربية يعيش في بيئة جاهلية لا تعرف النور ولا تهتدي إلى الصراط المستقيم

---

٥ الخليل النحوي / المنارة والرباط. مرجع سابق ص ٩٢/٩٧
- الطيب عمر : السلفية وإعلامها مرجع سابق
٦ الطيب عمر / السلفية وأعلامها. مرجع سابق ص٩٣
. المعهد التربوي / مجلة التعليم مرجع سابق ص٦٠. ٦١
- الخليل النحوي / المنارة والرباط، مرجع سابق ص٩٠. ص٩١
٧ الخليل النحوي / المنارة والرباط ص٥١. ص٥٥
الطيب عمر / السلفية وأعلامها ص ٩٥. ص ١٠٠
الخليل النحوي / المنارة والرباط. مرجع سابق ص٨٠- ٨٥

حتى بعث الله رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وإلى قومه خاصة فكانت أولى آيات القرآن نزولا هي . سورة إقرأ وهي آيات تتحدث عن القراءة والكتابة والقلم . وكان ذلك إيذانا بظهور فجر جديد بل وعالم جديد ، فيقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (الجمعة ، ٢)

لقد أخذت أصول التعليم تنتشر بدءا من المسجد النبوي والمسجد الحرام ليصل النور إلى الشام والعراق ومصر ثم إفريقيا والمغرب الأقصى وفي الأندلس ليصل إلى بلاد المرابطين ، لقد نشأت هذه الحركة العلمية أول ما نشأت عند ظهور الإسلام على عادة التلقي من أفواه الرجال العلماء كما أستندت هذه الطريقة على أساس صلب من الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي تدعوا إلى العلم وتحث عليه وتدعوا إلى نشره وتحريم كتمانه، كما تحث هذه الأخلاق على الصدق في النقل وإبراء الذمة بالاستناد إلى المصدر وبهذا صار الحفظ والضبط مصدر الحركة التعليمية فكان الناس بذلك مضطرون إلى حفظ النصوص والأسانيد، وكان ذلك في وقت عرف بشح وسائل التدوين والكتابة والتوثيق.

وترسيخا لهذه المنهجية اتبع المكونون وخططوا مناهجهم وطرقهم التي كانت خير عون لهم على حفظ رسالتهم وأداء أمانتهم، فإذا كانت الإنسانية اليوم تعتز بما توصل إليه الإنسان في العصر الحديث من طرق وأساليب تتبع في مناهج البحث العلمي والتجريبي مصدر إثبات الحقائق فإن العرب والمسلمين كانوا سبقوا إلى ذلك.

وتشير الطريقة كجمع إلى "الطرق" تذكيرا وتأنيثا والطريقة تعني السيرة،وطريقة الرجل مذهبه وأما في الاصطلاح التربوي: فالطريقة هي إجراءات يقوم بها الفرد (المعلم) للسعي إلى تحقيق هدف أو أهداف محددة ،كما تعبر عن مجموعة من الأنشطة والإجراءات التي يقوم بها المدرس والتي تظهر آثارها على ما يتعلمه المتعلم وهذا المعنى يتطابق مع ما هو ممارس في المحظرة ومن هنا يمكن الإشارة إلى العلاقة بين الطرق والتدريس حيث تعتبر الطرق التربوية في المستوى النظري بالنسبة للتدريس بينما يعتبر التدريس تطبيقا لهذه الطرق.

ويرى بعض التربويين أن التدريس Teaching يركز على إحداث التغيرات السلوكية التي يتطلبها المجتمع من التلميذ ، بينما التعلم Learning يهدف إلى إحداث التغيرات التي يريدها التلميذ لنفسه، لذا كان التكامل بينما يريده المجتمع للتلميذ وما يريده التلميذ لنفسه يعد مؤشرا تربويا تسعى العملية التربوية إلى تحقيقه أما التعليم فإنه عملية نفسية تحدث من تفاعل فكر المتعلم مع مادة التعلم في حين يعرف التدريس أيضا بأنه عملية اجتماعية يتم خلالها نقل مادة التعلم إلى المتعلم سواء كانت معلومات أو قيم أو سلوك أو خبر.

ومن خلال مشاهدات وتتبع مراحل الدرس المحظري في أي موضوع معرفي نجده يمر بالمراحل التالية:

- مرحلة تحضيرية يقوم فيها الطالب بهذا التحضير لوحده وتتمثل هذه الخطوة في تحديد اختياره حسب اهتمامه ومستواه واستعداداته وقدراته.
- مرحلة توجيهية يقوم فيها الطالب تحت إشراف معلمه ليصحح ما كتبه بعرضه على شيخه.
- مرحلة ذاتية يتفرد فيها الطالب ليحفظ النص أو المتن بعد تصحيحه.
- مرحلة التعلم والتعليم وفي هذه الخطوة يتم تزويد الطالب ببعض أساسيات المادة المدروسة وتظهر في هذه المرحلة الطريقة التعليمية التربوية المتبعة في المحظرة حيث يظهر التفاعل بين المتغيرات في الموقف التعليمي وهي (المدرس . المادة . المتعلم).
- مرحلة التكرار وهي مرحلة أساسية لأنها تهدف إلى حفظ النص وترسيخه وهذه المرحلة عادة تكون انفرادية إلا أنها قد تكون جماعية أيضا وقد يستعين فيها الطالب بخبرة من سبقوه إلى دراسة الموضوع.

وبتتبع المراحل السابقة لسير الدرس المحظري يمكن استخلاص خصائص الطريقة المحظرية فيما يلي:

- الطريقة المحظرية تفاعلية.
- الطريقة المحظرية يكون فيها الطالب نشطا وليس سلبيا.
- الطريقة المحظرية يكون فيها الطالب حرا في الاختيار.
- المحتوى المعرفي للمادة المحظرية ليس مفروضا على المتعلم.
- دور المعلم في المحظرة توجيهي إرشادي تعاوني.
- أن اهتمام وتركيز الطريقة المحظرية على الحفظ يعدّ ميزة ولا ينفي القدرة على الفهم والتحليل والتطبيق.

لا يمكن الحديث عن الطريقة دون المنهج ودون المعلم إذ لا يمكن الحديث عن أحد الأركان إلا وغيره حاضر في الذهن على الأقل وذلك للعلاقة المعروفة القائمة حيث أن الطريقة لا توظف إلا في منهج وحيث أن المنهج لا يقدم إلا بطريقة ولا يوظف الطريقة في تقديم منهج إلا بمعلم.

في هذا الصدد ، قسم بعض المهتمين المحظرة إلى ثلاثة مستويات هي:

- المستوى الأولى: ويعنى بتعليم القراءة بدءا بالحروف والتهجي ثم قصار السور من القرآن والتدرج فيه حتى ختمه في أكثر الأحوال ثم كتابة بعض المتون القصيرة الفقهية كالأخضري وابن عاشر وفي النحو كالآجرومية وملحة الأعراب وإن كانت المحاظر تختلف بحسب المناطق والمواقع الجغرافية.
- المستوى الثاني: وهذا المستوى يسميه البعض المستوى الهام أو مستوى المعرفة كفرض عين ويمكن أن تشبه بمستوى التعليم العام أو الثانوي ، وذلك لأن المراهقين بدخولهم في هذه المرحلة سواء كانوا ذكورا أو إناثا يصبحون بحاجة إلى معرفة واجباتهم الدينية فإن ذلك من ثقافة المجتمع وقيمه وعاداته تستجيب لهذا المستوى ببعض متطلباته فيأخذ بدراسة بعض المتون في العقيدة والفقه ونحو ذلك مثل مختصر ابن عاشر ومختصر الأخضري.
- المستوى الثالث: وهو مستوى متقدم بمثابة مستوى المرحلة الجامعية وتتطلب المرور قبلها بعلوم وفنون متعددة حتى يتأهل الطالب لدخولها لأنها تدرس

المتون الأساسية في العلوم الشرعية مثل العقيدة والحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والأدب والشعر والتاريخ والسيرة .... وغير ذلك.

- **المحظرة والمنهج الإسلامي** :

المنهج[٨] في كل مجتمع عبارة عن خطة وتصور لتربية وتنشئة أجيال المجتمع ونقل ثقافته وقيمه وعاداته وتقاليده وآماله إلى أجياله جيلا بعد جيل فإذا كان هذا بتبسط شديد من أهم وظائف المؤسسة التربوية في مجتمعها فإن المحظرة في مجتمعنا الموريتاني قديما وحديثا قامت بهذه المهام وجسدتها على أرض الواقع بعيدا عن الأضواء وفي صمت شديد وبعيدا عن الأضواء والاعلام والدعاية، فالمحظرة وهي المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتقوم على تربية أبنائه ليكونوا صالحين في أنفسهم وصالحين لعضوية مجتمعهم قادرين على تحمل مسؤولياتهم ومساهمين في تنمية مجتمعهم، لقد سعت المحظرة منذ نشأتها على تحقيق هذه الرسالة من خلال تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه والأصول والتفسير واللغة العربية بجميع فروعها وغير ذلك من الأصول والفروع التي اعتمدتها المحظرة في تكوين طلابها الذين كانوا خير مقاوم للمستعمر وثقافته الأجنبية كما كانوا خير رافد ومعين للدولة عند نشأتها حيث كان منهم القاضي والمعلم والجندي والموظف الإداري .... وغيرهم.

هذا المنهج المعتمد في المحظرة وهو المنهج الذي يمكن أن نسميه بالمنهج الإسلامي في التربية وهو المنهج الشامل المتكامل المتوازن الذي يعد الفرد لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعده لأخراه كأنه يموت غدا، ذلك لأن هذا المنهج يقوم على أسس قوية، مصدر ذلك أن خالق هذا الإنسان وهو أعلم به (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) هذا الإنسان الذي كرمه خالقه ونفخ فيه من روحه واستخلفه في الأرض واستعمره فيها وسخر له الكون وأمره ودعاه لاستغلاله والسعي في مناكبه لاستكشافه وأخذ الدروس والعبر وتوظيف ذلك لصالحه يستمد هذا المنهج، المنهج المحظري مصداقيته وواقعيته من أسسها التي يعتمد عليها، هذه الأسس التي تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس وغير ذلك من القواعد والمبادئ التي فرزها العلماء واعتمدوها، إن هذا المنهج يتميز بخصائص من بينها أنه . رباني . شامل . عام . متوازن . متكامل . متطور قابل للتنفيذ.

ومن هنا يمكن القول بأن منهج المحظرة أو المنهج الإسلامي في التربية وهو المنهج القديم الحديث الذي يمجد العلم والعلماء ويجعل طلبه فريضة على كل مسلم وهو المنهج الذي لا ينغلق على نفسه ولا يدعو إلى كتمان العلم والاحتفاظ بسر المهنة بل يوجب هذا المنهج نشر العلم ويحرم كتمانه ويعد صاحب ذلك وفاعله بأشد العقوبات، ولقد عرف المجتمع الإسلامي منذ نشأته الانفتاح على الآخر والاستفادة من تجاربه وخبراته في الحياة وقد تجسد ذلك في حفر الخندق وتدوين الدواوين وتعلم لغة القوم وترجمة كتبهم من أجل فائدة المجتمع المسلم . وإذا كان ذلك كذلك فإن المحظرة اليوم هي بحاجة إلى

---

[٨] الخليل النحوي / المنارة والرباط. مرجع سابق. ص٥١ – ٥٥
- الطيب عمر / السلفية وأعلامها. مرجع سابق. ص٩٥. ١٠٠

الانفتاح أكثر على وسطها في المجتمع الحديث وعلى تجارب المجتمع الإسلامي والمجتمع الإنساني بشكل عام.

وإذا كانت التربية كل تربية تهدف إلى تنشئة أبناء مجتمعها وذلك بناء على فلسفة وسياسة وتخطيط وأهداف وأساليب تحدد من خلالها الخطوات التي ينبغي اتباعها لنجاح العملية التربوية هذا كله هو ما اصطلح المتخصصون على تسميته منهج أو منهاج أو نهج وهو في اللغة الطريق الواضح.

والمنهج في الاصطلاح هو جميع الخبرات أو الأنشطة التي تقوم بها المدرسة لتعد أبناء المجتمع لمستقبل أفضل . وله الكثير من التعاريف من بينها مفهومه الذي قدمنا . ومنه مفهومه الضيق الذي يعني المواد التي يدرسها التلاميذ أو المقرر.

ولقد عرفت المجتمعات أشكالا وتسميات متعددة للمناهج ومن ضمن هذه المناهج الأنواع التالية:

- منهج المواد المنفصلة .
- منهج المواد المترابطة .
- المنهج المحوري .
- منهج النشاط .

وهناك تصنيف للمناهج حسب أهدافها وتتمثل في :

- المنهج الدراسي الذي يهدف إلى توصيل المعرفة.
- المنهج الدراسي الذي يهدف إلى تعديل السلوك.
- المنهج الدراسي الذي يهدف إلى نمو الشخصية.
- المنهج الدراسي الذي يركز على نشاط الجماعة.

فإذا كانت هذه المناهج عبارة عن خطط وتصورات يسعى كل مجتمع من خلال فلسفة وسياسة المجتمع الذي توجهه إلى تحقيق أهدافه في تكوين وتنشئة أبناء المجتمع التنشئة الصالحة كما يرغب المجتمع أن يكون أبناء مجتمعه في حاضرهم ومستقبلهم ليصبح مواطنا صالحا[٩]. فإن المحظرة في المجتمع الإسلامي والمجتمع الشنقيطي . موريتانيا اليوم قامت بهذا الدور التربوي التعليمي وبشكل ناجح مجسدة مضمون وإيجابيات هذه المناهج كليا أو جزئيا ولها فضل السبق في ذلك منذ ١٤ قرنا.

- **الخصائص العامة للمحظرة : البيئة والمناخ الإجتماعي :**

إذا كانت المجتمعات منذ نشأتها الأولى عرفت مستوى من التنظيم المناسب لظروفها في تلك العهود الغابرة ظلت تلك الأنظمة تتطور وتتجدد حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم فإن المحظرة في المجتمع الموريتاني تتميز بنظام

[٩] - محمد سيديا ولد محمد يحي / مناهج التدريس الحديثة ومناهج المحظرة – رسالة تخرج من المدرسة العليا للتعليم ١٩٩٢ ص ٢٤ . ٣٠

يكاد يكون فريدا من حيث الشكل والمضمون فالمحظرة من حيث الشكل ليست لها مباني ثابتة بحسب طابع البداوة أما من حيث المضمون أو المحتوى فهي تدرس كل العلوم المعروفة في وقتها وحسب الحاجة، فإذا كان شيخ المحظرة متطوعا محتسبا على الله عمله فإن الطالب حر في اختياره لموضوع دراسته من حيث الكم والكيف فالمحظرة من هذا المنظور سبقت المدرسة الحديثة في إعطاء الحرية للطالب وفي مراعاة الفروق الفردية وفي تطبيق مبدأ المستويات المتعددة والتقويم والتعلم الفردي وغير ذلك من الخصوصيات الكثيرة التي منها المتابعة في التقويم وتنوع أساليبه.

كما تتميز المحظرة بالتركيز على الحفظ والعناية به والقدرة على الاسترجاع عند الحاجة وتسهيلا لهذه المهمة انتشرت بين مشايخ المحظرة وطلابها ظاهرة الأنظام والأمهات ربما مبرراتهم الموضوعية في ذلك عادات العرب القديمة في الحفظ كما أن قلة التدوين والكتابة والكتاب المرجع وندرته تفرض ذلك . ربما مبررهم في ذلك أيضا أن من حفظ حجة على من لم يحفظ، كما يشهد لذلك ما يعزى للإمام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله:

علمي معي حيث ما يممت أحمله ... في باطن الصدر لا في جوف صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

إذا كانت المحظرة بحق هي المدرسة أو المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتربية أبنائه وتنشئتهم وإعدادهم للمشاركة في تنمية مجتمعهم وتكوينهم ليكونوا أصحاب رسالة وأصحاب أمانة يتطلب منهم أداؤها الكثير والكثير من الجهود حتى يصبحوا قادرين على ذلك.

فهذه المؤسسة التي هي المحظرة والتي نشأت مع ظهور الإسلام في المسجد وفي الرباط وفي المدن والحواضر لتنتشر وتنمو وتزدهر في الصحراء في بيئة غير مستقرة هي بيئة البدو الرحل الذين لم تمنعهم بداوتهم من طلب العلم وتحمل المشقة والصعاب من أجله بما في ذلك فراق الديار والأهل والأحبة فقد تواترت آراء الباحثين والكتاب على ذلك فقد نقل الطيب عمر في كتابه عن يوسف مقلد وهو كاتب صحفي مؤرخ من كبار وأوائل المهتمين بموريتانيا قوله "إن إقبال البدو والمتنقلين على التعلم عظيم ولهم صبر عجيب فلا ينقطع أحدهم عن التعلم وهو يقوم بنشاطه اليومي يرعى الغنم أو يجلب الماء ..."[١٠]

وقد نقل نفس الكاتب عن الخليل أفكارا مماثلة كما نقل عن شاعرهم قوله:

ونحن ركب من الأشراف منتظم ... أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة ... بها نبين دين الله تبيانا

إن العلاقة بين شيخ المحظرة وطالبها وكذلك بين طالب المحظرة ومجتمع المحظرة الذي يحتضنها هي علاقة انسجام وتكامل . إذ شيخ المحظرة ينظر إلى

[١٠] الطيب عمر / السلفية وأعلامها

الجميع نظرة الأب لأبنائه يحبهم جميعا لا يفرق بينهم إلا سلوكهم وأداؤهم،وكذلك نظرة المجتمع إلى طلاب المحظرة فإنها نظرة إعجاب واحترام لذلك فإنه لا يبخل عليهم بتقديم المساعدة ومد يد العون في كل الأوقات،كما أن الطلاب من جانب لا يستنكفون أن يقدموا خدماتهم للجميع حسب الحاجة كالقيام بجلب لبن البقر لمن ليس لهم من يقوم بذلك أو جلب الماء من البئر أو البحث عن المفقود من الحيوانات ... إلخ ، كما يعرف البعض المحظرة بأنها: جامعة شعبية بدوية تلقينية فردية تطوعية ، فيقول الخليل النحوي محاولا إبراز بعض سمات المحظرة معتمدا على تعريفها الذي هو "المحظرة جامعة شعبية بدوية متنقلة تلقينية فردية التعليم طوعية الممارسة"١١ ثم يقول ومن مكونات التعريف السابق يمكن أن نحدد بعض سمات وخصائص هذه المؤسسة.

- فهي جامعة: لكونها تقدم لطلابها جملة من العلوم والمعارف والفنون بمستويات مختلفة تتناسب ومستويات الطلاب وميولهم.
- فهي شعبية: لأنها منتفحة على جميع أبناء وبنات المجتمع بجميع فيئاته وطبقاته ومستوياتهم وأعمارهم مراعية في ذلك كل الظروف والاعتبارات كل حسب مستواه وقدراته وجهوده واستعداداته لا محددة زمان ولا مكان ولا عمر ولا غنى ولا فقر فهي بذلك تحقق مدرسة المجتمع التي تقوم بتنشئة أبنائه وتعدهم للتكيف معه.
- فهي بدوية: متنقلة فإن ذلك لا ينفي أن تكون نشأتها في المدن والحواضر إلا أنها رغم ارتباطها بالمدن والحواضر فإنها قد ازدهرت وانتشرت في ربع البادية وهذه ربما من أهم الخصائص بل والمفارقات وفي المعنى يقول محي الدين صابر "إن نظام المحظرة نظام يكاد يكون فريدا خاصا انطلق من واقع الحياة البدوية الموريتانية. وفي هذا المعنى يقول محمد المختار ولد اباه "من الصعب على من لم ير المحظرة أن يتصورها ذلك أن البداوة تقترن بالذهن بالجهل والحماقة لأن الثقافة جزء من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس ترتبط بالمعاهد والجامعات، وهذا خلاف واقع المحظرة الموريتانية التي قامت بدورها التعليمي أحسن قيام في أحضان البدو الرحل الذين يتنقلون وراء المراعي ونقاط المياه.
- وهي تلقينية: وهذه سمة وإن كانت تعني التركيز على التلقي والحفظ غير أنها لا تنفي ما هو معروف من أن المحظرة تتبع أكثر من أسلوب في أنشطتها التعليمية بما فيها الحوار مع شيخ المحظرة وحوار الطلاب فيما بينهم وحتى حوار الطالب مع نفسه أو مع غائب حاضر في الذهن يخاطبه الطالب ويتصوره مخاطبا له يقول: ((قال لك)) ١٢.
- فهي تعتمد نظام التعليم الفردي سواء كان بالنسبة للمعلم أو الطالب، فمن جهة المدرس فشيخ المحظرة هو مصدر المعلومات وذلك نظرا لمعرفته وموسوعيته وقد يكون مع شيخ المحظرة الأصلي مشايخ يقومون بتعليم بعض

---

[١١] الخليل النحوي / المنارة والرباط

[١٢] الخليل النحوي. المنارة والرباط ص ٥٢. ٥٥
الطيب عمر. السلفية وأعلامها ص ١٠١. ١٠٥

الطلاب عند الحاجة كما يحاور الطلاب بعضهم بعضا وقد يشاركون غيرهم من محاظر أخرى في مباريات تعرف عندهم بـ ((الزر)) يعد الفوز فيه مكرمة للمحظرة ولشيخها وطلابه.

وإذا كان فيما تقدم ما يشير لطابع التعليم الفردي كسمة من سمات المحظرة فإن هذا لا ينفي كون للمحظرة أيضا أساليب تعليم جماعي مثل دروس الحلقة أو الدولة فإما أن تكون دروس جديدة للبعض وللآخر دروس مراجعة.

- وهي حرة وتطوعية: التطوع والمبادرة الحرة من مميزات المحظرة سواء كان ذلك بالنسبة للشيخ أو للطالب فكل منهما متطوع غير أنه حر في تطوعه وفي حدود حريته وتحمل مسؤوليته فالطالب يحضر متى شاء ويتعلم ويكتب ما شاء لا يحده إلا اختياره ومستواه وقدراته واستعداداته، وهذا من أهم ميزات المحظرة التي عاشتها ولا تزال الأنظمة التربوية الحديثة تسعى جاهدة للاقتراب من هذه المميزات.

أما المحظرة وهي التي سميتها أثناء هذا العرض بأنها مدرسة المجتمع فإن تعاملها مع طلابها أساسه بناء الثقة والضبط الذاتي مع رقابة المجتمع الذي يريد منه . أي الطالب . أن يكون رجل المستقبل يربيه على الحرية والمسؤولية وأنه لا وصاية عليه ولا مكره له وإنما هو حر واختار بإرادته كما اختار أمثاله من أبناء مجتمعه الذين يشتركون معه ومن حقه أن يتنافس معهم وأن ما يبذله من جهد وتضحية هو رمز أو برهان نضجه وعلامة رجاحة عقله.

فكان من أهم الطرق التي اتبعها المسلمون في نقل المعارف وأصبحت طرقا متداولة في المحظرة هي وجوه التلقي أو طرق التلقي[١٣] وهي:

- أولا : السماع: وهو حديث مباشر أو إملاء من الشيخ (المعلم) على الطالب وهو ما كان يفعل المعلم الأول صلى الله عليه وسلم حين كان يملي أو يحدث أصحابه مباشرة.
- ثانيا : القراءة: وتعني قراءة الطالب على الشيخ (المعلم) فإذا روى عنه صرح بذلك كقوله قرأته على فلان . أو أخبرني قراءه عليه.
- ثالثا : المناولة: وهي أن يناول الشيخ (المعلم) كتابا من سماعه، وقد تقترن المناولة بالإجازة بالأذن في الرواية.
- رابعا : الكتابة: وتعني أن يكتب الشيخ لتلميذه بخطه أو يأمر غيره بذلك ويبين الطالب ذلك في روايته فيقول كتب لي شيخي أو أمرني بالكتابة.
- خامسا : الإجازة: وهي أن يقول أو يكتب الشيخ للطالب أجزت لك أن تروي عني كذا وتكون في معين.
- سادسا : الإعلام: وهو أن يعلم الشيخ تلميذه أنه سمع هذا الكتاب أو الحديث من فلان دون أن يأذن له في روايته.
- سابعا : الوصية: وهي أن يوصي الشيخ قبل وفاته بكتاب من روايته لشخص من تلاميذته ويأذن له في روايته.

---

[١٣] الطيب عمر الحسين / السلفية وأعلامها . مرجع سابق
الخليل النحوي / المنارة والرباط . مرجع سابق . ص ٤٨ . ٤٩ . ٥٠

◄◄ ثامنا : الوجادة: وتعني أن يجد الطالب مخطوطا بخط شخص يعرف خطه فيرويه بقوله وجدت أو قرأت بخط فلان.

فكان المسجد في صدر الإسلام وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو الحاضن الأول للتعليم وكذلك في عهد الخلفاء من بعده حتى عرف المسجد بحلقات العلم وتصنيف هذه الحلقات إلى عامة أو متخصصة وحددت الأوقات كما يتبع اليوم في النظام الحديث علما بأن أولى المدارس النظامية ظهورا كانت ٤٥٩ هـ في بغداد وهي المدرسة النظامية ثم المستنصرية سنة ٦٣١ هـ لتنتشر المدارس بعد ذلك.

وفي هذا السياق يقول الخليل النحوي"ليست المحظرة منظمة لها مصادر تمويل خارجية بل هي خلية تربوية تطوعية في بيئة شحيحة تفرض على طالب العلم بها مجاهدة النفس والصبر والجد فكانت بذلك مؤسسة مربية لأبنائها وروادها خير تربية فكانت المحظرة بذلك خير معين لطالبها فكما تزوده بالعلم فإنها تعده للحياة، فهي ليست محظرة لتلقي العلوم والمعارف فقط بقدر ما هي مدرسة المجتمع الذي أنشأها لتربية أبنائه ليكونوا صالحين في أنفسهم ولعضوية مجتمعهم فهي تعدهم للحياة إعدادا شاملا جسميا وعمليا ونفسيا واجتماعيا وتدرب على العديد من مواقف الحياة السائدة في وقتهم مثل الزراعة ورعاية الماشية والقيام بشؤونها وحفر الآبار وجلب الماء ومساعدة المحتاجين والقيام بخدمتهم هذا وليس بسرأن المحظرة كانت تتميز قبل الدعوة في العصر الحديث إلى استغلال البيئة فالمحظرة قد عرفت بحسن استغلالها للبيئة حيه الأقلام والمداد والألواح كلها من البيئة كما أن التدفئة والاستضاءة من البيئة أيضا،وكما يتميز طالب المحظرة بخلق رفيع يكتسبه بالقدوة الحسنة والممارسة وما تفرضه المحظرة من ضوابط للسلوك.

وقد قام المهتمون بشأن المحظرة الموريتانية وطلابها بمقارنتهم مع نظرائهم في المشرق العربي وفي المغرب الأقصى فوجدوا أن الفروق كثيرة منها أن أهل المشرق والمغرب لهم من الأوقاف والحوافز ما لا يجده الشناقطة الذين لم يكن لهم من الزاد والعون إلا التقوى والصبر والرغبة في تحصيل العلم.

قلنا في ثنايا هذه الورقة \ أن المحظرة هي مدرسة المجتمع التي أنشأها لتقوم على تربية أبنائه وإعدادهم لتحمل المسئولية والمساهمة في بناء وتنمية مجتمعهم وقد استلزم هذا أن يكون منهج المحظرة منهجا إسلاميا شكلا ومضمونا ولقد لاحظ العديد من الباحثين في الموضوع والمهتمين أن طرق التدريس في المحظرة الموريتانية وأساليب التعامل بها خصوصية موريتانية كما المحظرة نفسها خصوصية موريتانية، هذا ويلاحظ أن بعض الطرق التربوية الحديثة (الطريقة الحوارية . طريقة المهام . طريقة الإلقاء . وطريقة السؤال والجواب) تتقاطع مع طرق وأساليب التدريس في المحظرة، غير أننا يكفينا دليلا على تقدم المحظرة في هذا المجال ما نعرفه عن تاريخ نشأة المحظرة وتقدمه وسبقه على المدرسة الحديثة وطرقها وأن هذه المحظرة عرفت منذ نشأتها أساليب وطرق تربوية لم تصل إليها المدرسة الحديثة إلا في القرن الواحد والعشرين مثل

تعدد المستويات ومراعاة الفروق الفردية وحرية الطالب في الاختيار وأساليب التقويم العملية والتكيف مع البيئة وحسن استغلالها واستقبال المتعلمين مهما كانت أعمارهم وفئاتهم ومستوياتهم كل ذلك وغيره ساهم في جعل هذه المؤسسة كبيرة المردودية وقليلة التكاليف فيكون من واجبات المهتمين ضرورة الاهتمام بها ورعايتها والعمل على تفعيلها وتطويرها.

- **مبادئ وتوجيهات يمكن الاسترشاد بها لتطوير التعليم المحظري** :

بناء على ما سبق يمكن عرض مجموعة من المبادئ والتوجيهات التربوية التي قد نراها مناسبة ويمكن توظيفها في تعليمنا المحظري[١٤]

- معرفة الأساليب التربوية والنفسية المساعدة على التعلم والتدريب عليها والعمل على وضوح الهدف لمعرفة المتعلم قيمة ما يتعلم لأن
- أهداف واضحة + طرق تعلم صحيحة = تعلم ناجح
- العمل على إيجاد الدافع لدى المتعلم وتوظيف الترغيب والترهيب لتوليد التشويق ومن أهم طرق ذلك سمو الأهداف والتعلق بالفضائل وعلو الهمة والطموح الكبير وعدم الرضا بالقليل.
- الحرص على التركيز والتنبيه على ضرورة عدم تشتت الذهن بالاشتغال بأمور ومثيرات جانبية.
- استغلال وحسن توظيف قدرات الذاكرة وتدعيمها بأنشطة مختلفة.
- معرفة الخصائص العقلية والنفسية والاجتماعية للمتعلم سبيلا لحسن التعامل والعمل على تنويع الطرق في التدريس وتغيير مناخ الدرس وتلطيفه لإبعاد الملل والكسل عن النفوس وتغيير الأوضاع في أماكن الدرس من وقت لآخر.
- العمل على تحسين قدرات المتعلم الهائلة على الحفظ والفهم باستخدام تقنيات الدماغ المتطورة كالقدرة على التركيز وتقنية التنفس الصحيح ويتم ذلك بواسطة التدريب.
- الاستفادة من أثر اللغة في التواصل بالأساليب الإيجابية كالمدح والتشجيع وأثر ذلك على نتائج التعلم.
- استخدام أساليب متعددة : مثل أسلوب القصة . والقدوة . والترغيب وضرب المثال والحرص على التلازم بين القول والعمل والصدق والإخلاص وحسن الخلق وتوظيف مبدأ: إنما بعثت معلما ولم أبعث معنفا وكذلك مبدأ: فكنا نتعلم العلم والعمل به معا.
- حرص المدرس على التوازن النفسي حتى يتجنب الانفعال والتوتر ليحسن استغلال ما لديه من إمكانات ومهارات بما في ذلك الوسائل التعليمية المعينة على الفهم.
- ترسيخ مبدأ الأخوة والمحبة والثقة والاحترام بين المدرس والطلاب حتى يكون التآلف والتراحم والرفق وحسن التوجيه والإرشاد.

---

[١٤] مذكرات ومحاضرات : محمد الأمين النابغة / مركز تدريب التنمية البشرية – انواكشوط ٢٠١٢
محمد سيدينا ولد أحمدو يحي / مناهج التدريس. مذكرة تخرج من المدرسة العليا ١٩٩٧

- **قائمة المراجع** :

- الخليل النحوي / بلاد شيقيط المنارة والرباط . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٧ .
- الشيخ الطيب عمر بن الحسين / السلفية وأعلامها في موريتانيا – دار ابن حزم . بيروت ١٩٩٥ .
- المعهد التربوي / مجلة التعليم . العدد ٣٩ بتاريخ ٢٠١٠ .
- المدرسة العليا للتعليم / مجلة التربية . العدد ٥ بتاريخ ٢٠٠٦ .
- محمد سيديا بن أحمدو يحي / مناهج التدريس . مذكرة تخرج ١٩٩٦ .
- محمد الأمين ولد النابغة / محاضرات ودروس مركز التنمية البشرية ٢٠١٢ .
- أدو ولد الشيخ / محاضرات ودروس جامعية ١٩٨٥ . ٢٠١٢ .

****